أحس بعرق المهانة يغمر جسمي، لأنني استسلمت لظلمه ورجعت إلى مقعدى صامتا أكتم غيظى . إنني لن أنام هذه الليلةقبل أن آخذ بثأري . لابد أن أعيد ترتيب المشهد من جديد، لكي أستطيع أن أفعل مالم أفعله ذلك اليوم . هأنا الآن أثور في وجهه، وبدلا من أن أمنحه يدي ليضربها، أمد يدي لأمسك العصا التي يهددني بها، قائلا له، لقد أخطأت في حقي، لأنني لست المذنب وإنما المذنب تلميذ غيري، لاشك أنك تعرفه، وتتجنب أن تعاقبه، إكراما لوالده الذي يمنحك رشوة كل شهر باسم الدروس الخصوصية . أقول هذا الكلام وأنا أتقلب في سريري، وانتظر نوما لايأتي، لأن سلوك ذلك المعلم الذي مضى عليه أكثر من أربعين عاما جاء الليلة يقلقني، ويطرد النوم من عيني، فأقفز فوق حاجز الزمن، وأنصب هذه المحاكمة لمعلمي القديم، وكأنه يمثل الآن أمامي، وكأن خصامي معه لم يحدث إلا هذه اللحظة .

أعرف يقينا، أنه لامعنى الآن لانفعالي وغضبي، ولا قيمة لهذا الكلام الذي جئت أقوله لمعلم، هو الآن يتقاضى جزاء ظلمه لي، في الدار الآخرة التي لابد أنه انتقل إليها .

ولكن، ماذا أفعل إزاء هذه الذاكرة العجيبة، التي تعيد إنتاج مشاهد الظلم والأذى، وترغمني على أن أعيش مايرافقها من ألم ومعاناة، سنين طويلة بعد وقوعها .

وهذا بالضبط، ماحدث معي اليوم، وأنا أطوف الدكاكين أبحث عن لعبة أقدمها هدية لولدي في عيد ميلاده . . إنها مناسبة للابتهاج، ولكن ذاكرتي ـ سامحها الله ـ تأبى إلا أن تمنحني مناسبة أخرى للكدر، وهي تخرج لي من بئر ذكرياتها القديمة المهجورة، مشهدا آخر ظل نائما في الظلام، أكثر من عشرين عاما .